

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت

الخطبة الأولى

الحمد لله جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ربطاً

فيها أعظم الأركان وجعلها مصدراً للأمن والأمان نشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان،

ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه الله رحمةً

وأماناً للإنس والجان صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى

جميع الآل والصحب والتابعين لهم بإحسان . أمّا بعد:

فأوصيكم ...

تستقبل مكة هذه الأيام وفود الحجيج، جاؤوا من كلِّ

فج عميق يلبون نداء ربهم ويحيون أذان خليله عليه

الصلاة والسلام: فما هذا البيت العتيق يا ترى؟ وكيف

تم بناؤه؟ ومن الذي بناه؟ وما سرُّ تعلق المسلمين به؟

ولبنائه تاريخ لا ينسى وقصة لا تمل! تبدأ القصة برحلة

شاقة لإبراهيم الخليل عليه السلام حين قرَّر إبراهيم أن

يهاجر بهاجر وابتها إسماعيل إلى البقعة المباركة! وذلك

بوحى من الله تعالى وأمر! ففي الحديث الصحيح :

(...فجاء إبراهيم بهاجر وابتها إسماعيل وهي ترضعه

حتى وضعهما عند البيت عند دوحه - شجرة -

فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ

وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ

مَاءٌ ثُمَّ قَصَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا إِلَى الشَّامِ فَتَبِعَتْهُ أُمُّ

إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا

الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا

وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ

قَالَتْ: إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَاِنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ

أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَشْكُرُونَ

وَجَعَلْتَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ

الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشْتَ، وَعَطِشَ ابْنُهَا،

وَجَعَلْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، فَاِنْطَلَقْتَ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ

إِلَيْهِ، فَوَجَدْتَ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ

عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتَ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ

أَحَدًا، فَهَبَطْتَ مِنَ الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْوَادِي رَفَعْتَ

طَّرْفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّى

جَاوَزَتِ الْوَادِيَّ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ
هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.
قَالَ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا».

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَه
فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ
بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ -أَوْ قَالَ
بِجَنَاحِهِ- حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا
هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يُفُورُ بَعْدَ
مَا تَغْرِفُ- قَالَ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ
زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا

مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا.

فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ
اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ
وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ،
فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ
رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ
طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَتَزَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا،
فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهِذَا
الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَيْنِ فَإِذَا هُمُ
بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ

إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ
عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا:
نَعَمْ.

قَالَ ﷺ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ»
فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا
أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ،
وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَمَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجَهُ امْرَأَةً
مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ
إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ
امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ

عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بَشَرٌ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ
وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ
السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ
كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ،
جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي
كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ
أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ،
وَيَقُولُ غَيْرُ عَتَبَةَ بِأَبِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ
أُفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى،
فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ،

فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ:
كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ
وَسَعَةٍ، وَأَثْنْتُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ اللَّحْمُ،
قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ
وَالْمَاءِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ
دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بغير مَكَّةَ
إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ
السَّلَامَ، وَمُرِّيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ:
هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ،
وَأَثْنْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ

عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ:
نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ
بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ،
ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ،

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبَلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ
قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ
الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَالِدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ
اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعِي مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ:
وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِي
هَاهُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا... قَالَ

فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ
يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ
بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ
يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وَنَزَلَ جِبْرِيلُ
بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَقَدْ كَانَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حِينَ غَرِقَتْ الْأَرْضُ.

فَلَمَّا فَرَعَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْبِنَاءِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ
كُلَّهَا ثُمَّ قَالَ أَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ وَمَا يُبَلِّغُ صَوْتِي؟
قَالَ أَذِنَ وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ! فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَبَّكُمْ،
وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحَجُّوا فَاسْمَعْ مَنْ فِي أَصْلَابِ

الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ وَمَنْ كَانَ سَبَقَ
فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَحُجُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ
لَبَّيْكَ..)... (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) بَارِكِ اللَّهُ ..

الخطبة الثانية

مقدمة... أما بعد:

فيا عباد الله: "نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ
بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. الترمذي .

قال ابنُ العربي: " انظروا إلى أثر الذنوبِ على القلوبِ
فإن كان أثرها هكذا على الحجر فما بالكم بأثرها على

قلبِ البشر؟! "

"لَوْلَا مَا مَسَّهُ مِنْ أَنْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا مَسَّهُ ذُو عَاهَةٍ إِلَّا

شُفِيَ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرُهُ " البيهقي.

وعنه عليه السلام: «الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَأْقُوتَانِ مَنْ يَوَاقِبَتِ الْجَنَّةُ،

الْبَيْتُ يَا مُسْلِمُونَ: صِلَةٌ وَثِيقَةٌ بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ جَمِيعاً

وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ طَمَسَ عَلَى نُورِهِمَا لِأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ

فَلَقَدْ حَجَّ إِلَيْهِ جَمْعٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَصَلَّوْا فِيهِ وَطَافُوا بَيْنَ

وَالْمَغْرِبِ» أحمد وغيره.

أركانِه!

وعنه عليه السلام: «إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَشْهَدُ لِمَنْ

مَرَّ بِهِ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا

اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقِّ». رواه ابن حبان وغيره.

وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَعَنْهُ عليه السلام قَالَ: " لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ هَذَا الرُّكْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ

هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى

عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ

ثَنِيَّةِ هَرَشَى، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرَشَى-

بِالْحَقِّ "، وَفِي حَدِيثٍ: «مَسْحُ الْحَجَرِ وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ

جَبَلٌ قَرَبَ الْجَحْفَةِ- قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى

يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا» رواهما ابنُ خزيمة

يجزى القائمين على أمر الحج والحجيج خيرا الجزاء ...

ثم صلوا ...

عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي «م.م.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَمَهَلَّنْ ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ فَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالْحَجِّ ، أَوْ بِالْعُمْرَةِ ، أَوْ لِيُثْنِيَنَّ مَا "م.م. وعنه ﷺ (لِيُحَجَّنَ الْبَيْتُ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) م.

عِبَادَ اللَّهِ: عَلَى مَنْ نَوَى الْحَجَّ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ مُبَكَّرًا بِاخْتِيَارِ حَمَلَتِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ تَصْرِيحِهِ ، فَقَدْ جَاءَ عَنْ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ: لَا يَجُوزُ الْذَهَابُ إِلَى الْحَجِّ دُونَ أَخَذِ تَصْرِيحِ وَيَأْتُمْ فَاعَلَهُ ، لَمَا فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرٍ أَوْ لِأَمْرٍ الَّذِي مَا صَدَرَ إِلَّا تَحْقِيقًا لِلْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ ... ". فَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ